اجتهادات
بين التفكك والتحلل

استهانةُ نخبة الحكم والسياسة فى الولايات المتحدة بالأزمة بين الإدارة الفيدرالية وولاية تكساس أخطر من هذه الأزمة. الأزمةُ نفسُها ليست خطيرة حاليًا. ولكنها تدل على خطرٍ يزداد، فى هذا النوع من الأزمات، بمقدار الاستهانة به. فهى آخر تجليات الانقسام العميق والمتزايد فى المجتمع الأمريكى. وأهم ما فى هذا الانقسام أنه يزداد ويشمل معظم القضايا الأساسية. وترتبط هذه الأزمة بقضية الهجرة عمومًا، والقادمين عبر الحدود مع المكسيك خصوصًا. وتكساس هى المَعبَر الذى يسلكونه إلى الولايات المتحدة. وهى فى الوقت نفسه إحدى الولايات «الحمراء» الأكثر دعمًا للحزب الجمهورى. وعندما فشل الكونجرس فى الاتفاق على تنظيم دخول القادمين عبرها، تحدت إدارتُها المحلية الإدارة الفيدرالية فى واشنطن، ورفضت تنفيذ قرار المحكمة العليا بإزالة حواجز وأسلاك شائكة كانت قد

وضعتها لمنع القادمين من المكسيك. وظهر مدى عمق الانقسام عندما قررت الولاياتُ الجمهورية كلها دعم تكساس. وقرر عشر منها إرسال قوات تابعة لحرس الحدود المحلى فى كلٍ منها لمساندة الولاية التى تتحدى واشنطن. لا يُنذرُ تفاقم الأزمة على هذا النحو بصدام مسلح أو إعلان استقلال تكساس. لم يحن الوقت، ولكنه سيحينُ لاحقًا بفعل الازدياد المستمر فى عمق الانقسام وحدته. قانون التراكم الكمى يفعل فعله فى مثل هذه الحالة، إلى أن يحدث التغيير النوعى الذى قد يكون هائلاً بمقدار ما تستمر الاستهانة، وتنشغل النخبة الفيدرالية بمواصلة إرهابها فى العالم على حساب التزاماتها الداخلية.

وقد حدث مثل هذا، ولكن بطريقةٍ مختلفة فى الاتحاد السوفيتى السابق. لم تكن نخبته إرهابية، بخلاف النخبة الأمريكية. ولكنها، وقد شاخ نظامُها منذ السبعينيات، تمادت فى الاستهانة بأزماتٍ داخلية أدت إلى تحلُل تدريجى قاد مع اكتماله إلى تفكك الاتحاد وانهياره. الوضع فى أمريكا الآن مختلف, ولكن تعمق الانقسام

وازدياد الاستهانة به يؤديان إلى تحللٍ تدريجى بدون استبعاد احتمال التفكك. وربما يقترنان فى وقتٍ ما فى المستقبل. وهذا ما حدث فى الحالة السوفيتية, إذ بدأ التفكك عندما اقترب التحلل من الاكتمال, ولكن بلوغ نقطة النهاية فى الحالة الأمريكية قد يكون أبطأ لأسبابٍ يُمكن تناولها لاحقًا.